الحياة AL HAYAT
الثلثاء ١٠ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٢ الموافق ٣ رجب ١٤٢٣هـ/ العدد ١٤٤١٨
AL HAYAT TUESDAY 10 SEPTEMBER 2002 ISSUE NO 14418

١١ أيلول فجّر صراعاً بين ثقافة لامبالية وثقافات ترادا بادتها

هكذا تحدث جان بودريار عن ١١ أيلول وخلفياته وذيوله

حادثته: رندة تقي الدين

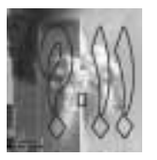

أراء الفيلسوف الفرنسي جان بودريار، في الجلسة التي جمعتني به في باريس، جاءت غنية ومسهبة كالعادة. هنا بعض أهم ما قاله:

بلغت النظم المختلفة في الولايات المتحدة حداً من التطور والتعقيد والعظمة المطلقة، جعلها مهددة بكارثة داخلية أو بردة تمثلت بالحادث المروع الذي شهدته مدينة نيويورك. وهذه الردة موجودة أينما كان وإنما خصوصاً في داخل وفي قلب هذه القوة. فالإرهاب ما كان ليتمكن من تحقيق مناله وإحداث هذا القدر الكبير من التأثير لولا الهشاشة البالغة التي تتسم بها الولايات المتحدة باعتبارها قوة عظمى. وهي هشاشة تنبع من القانون الذي يحكم الأنظمة، بحيث أن كل نظام يتجه نحو الاشباع يتجه في الوقت نفسه نحو التفجّر، وأحداث ١١ أيلول (سبتمبر) تشكل تجسيداً لذلك. فإمكانية تفكيك أو تدمير أو بعثرة قوة ما تصبح متوافرة عندما تصبح هذه القوة عالمية بالفعل.

والبعد العالمي هنا شديد الأهمية، لأنه يمكن أن تقوم نزاعات مختلفة طالما كانت هناك تعددية قطبية واختبارات قوة، لكن هذا لم يعد قائماً اليوم في ظل القطب الواحد مما يغلّب اسلوب الردة الذي يعني الجميع كونه ملازما لأي تمرد على هذه القوة العظمى الكونية والإرهابية بحد ذاتها، مما يجعل الإرهاب في مواجهة الإرهاب، وهو نمط جديد من المواجهة.

ولا تقتصر الردة فقط على الولايات المتحدة على رغم كونها أشبه بمجاز للعظمة، بل تشمل نظاماً معيناً ينضوي في إطاره الغرب عموماً. والإسلام، في المقابل، يشكل المركز الحساس لنوع من العداوة، من دون أن يعني ذلك أنه جبهة للإرهاب، فما هو قائم الآن ليس جبهة محددة، وإنما هو شرخ يخترق العالم كله.

ولا بد من الاعتراض على تعبير «صراع الحضارات» الذي تردد عقب ١١ أيلول، لأن هذه الأحداث لم تكن تعبيراً عن مواجهة بين حضارتين أو عرقين أو ثقافتين، وإنما عن عداوة بين ثقافة عظمى لا مبالية بأوجه التمايز والثقافات المختلفة كافة التي تجري إبادتها أينما كان.

وهذا هو مكمن العداوة، ويتركز بين الحضارة المفرطة في حداثتها وكل ما هي في صدد تصفيته، ليس إرضاء للعولمة، وإنما إرضاء لذيوعها العالمي، وهي بالتالي عداوة جوهرية. فالعالم اليوم لم يعد يتسم بالتعدد الثقافي وبالتمايز بين الثقافات المختلفة التي لكل منها أرضيتها الخاصة وقيمها الخاصة، وإنما هناك ثقافة عظمى لكنها مجردة، وهي ثقافة التكنولوجيا والقوة، مما يدعو إلى التساؤل عما إذا كانت ثقافة بالفعل.

وأولئك الذين يعتبرون أن الثقافة الإسلامية تسعى للتعبير عن الكبت الذي تعيشه وان تدافع عن نفسها في مواجهة الثقافة الغربية، يقلصون عملياً ساحة المعركة، فالإسلام قد يكون الأكثر رفضاً لعملية التعميم الحاصلة، لكن هناك، أينما كان، عناصر مقاومة للهجمة الهادفة إلى إلغاء أي تمايز حتى على المستوى الفردي وحتى في المجتمعات الغربية.

والإسلام قد يكون عقدة أساسية أمام الهجمة القائمة، ولكن ينبغي عدم اعتباره محوراً لهذا الرهان العالمي، وعدم حصر التحليلات به لأن مثل هذا المنطق يسدي للإسلام خدمة سيئة. ثم انه من غير الممكن الادلاء بتعريف محدد للعولمة. في السابق كان هناك مفهوم الكونية الذي انطوى على مجموعة من القيم المنبثقة من الحضارة الغربية، أما العولمة فلا تنطوي على أي قيم، بل تعتمد على السوق من الناحية الاقتصادية وعلى سوق المعلومات المجردة والتقنيات والمال.

وفي ظل الكونية، كان يجري تعميم مبدأ أو فكرة وجاءت العولمة لتلتهم الكونية وتلغي قيمها، لأنها لا تبالي بالقيم ولا تحتاج إليها، فهي كناية عن آلية يجري في إطارها التضحية بكل شيء. وفي مواجهة العولمة يبقى التمايز، وهو ليس عنيفاً بالضرورة، لكنه يأخذ في بعض الأحوال شكل الإرهاب. فالإرهاب تمايز قادر على اعتراض العولمة، في حين أن الكونية فقدت هذه القدرة. وكلما تسارعت وتيرة العولمة، ازداد التمايز بلورة وازدادت مقاومته لهذه الموجة.

والقيم الكونية الإنسانية مهددة في ظل هذا الوضع، من قبل الدول الإسلامية بالطبع، ولكنها تتعرض لتدمير جذري من قبل المجتمع الغربي الذي يتساوى من حيث اصوليته مع من هم متهمون بالاصولية، كونه يعمل على دمج كل شيء في إطار هذا القانون الجديد.

أما المحاولات الأوروبية الهادفة الى عدم مواكبة الولايات المتحدة في هذا النهج والتمسك بالقيم الكونية والاخلاقية والتاريخية، فلا تسجل سوى نجاحات محدودة جداً، وعندما تسوء الأمور، مثلما حصل في ١١ أيلول، فإنها لا تجد أي سبيل آخر سوى الاصطفاف وراء القوة الدولية العظمى، والتزمّت في مكافحة الإرهاب التي أصبحت بمثابة ايديولوجية عالمية.

إنها معادلة مغلقة في الوقت الحالي، ومن الصعب التكهن بالمستجدات أو التحولات إذ لا يمكن أن تكون القوة العظمى العالمية مصدرها كونها مكتفية بالموقع الذي تحتله. التحول إذاً قد يأتي من مكان آخر، وهذا المكان في الوقت الحالي هو العالم العربي، علماً بأن أمكنة أخرى يمكنها أيضاً أن تكون مصدراً له. وهناك صعوبة توقع طبيعة هذا التحول الذي قد يكون نحو الأفضل وأيضاً نحو الأسوأ.

لكن رغماً عن ذلك، ليس في وسعي إلا الوقوف في الصف الآخر، أي في صف التمايز حتى إذا كان هذا التمايز إرهابياً، من دون أن يعني ذلك الوقوف في موقع الدفاع عن العنف بحد ذاته. فالقوة العظمى الشديدة العنف بتعابيرها كافة، يمكن أن تواجَه بردة عنيفة، وما حصل في ١١ أيلول لم يكن عمل إبادة، إنما عملية قتل انتقامية ورمزية هدفها النيل من هذه القوة العظمى، ومن عملية الدمج التوتاليتارية التي يجري فرضها.

إن أخطر ما في أحداث ١١ أيلول ليس الاعتداء الذي استهدف القوة الأولى في العالم، وإنما الإهانة الأكيدة التي لحقت بها والتي لم تتمكن من ردها، كونها اكتفت بسحق الأفغانيين واحتجاز عدد من الأشخاص كالكلاب في قاعدة غوانتانامو، وهذا بأي حال أقصى ما يمكنها القيام به، كونها قوة مادية وعسكرية وليست قوة رمزية. وهذه القوة المادية والعسكرية وجدت نفسها في مواجهة قوة أخرى تمتلك أسلحة مختلفة وتتسم بالرمزية وقادرة في الوقت نفسه على استخدام أسلحة الآخرين. كذلك هناك صعوبة التكهن بالمخرج الممكن لهذه المواجهة، لكن ما من شيء يمكن أن يتسم بالتجانس التام والتماثل التام، ومن المتعذر التوصل إلى عالم على هذا النحو حتى لو أرادت القوة الدولية العظمى. فمن غير الممكن إلغاء التمايز والتباين والاختلاف وما ينبثق منها. فما كان يوصف في السابق بالتمرد والثورات والانتفاضات بات يجتمع اليوم ضمن تصنيف واحد هو الإرهاب، وهو تعبير لا يعني شيئاً بحد ذاته إن لم يُنظر إلى الرهان الذي يخبّئه.

ديفيد بلانكنهورن، صاحب المبادرة التي تسببت برسالة الستين مثقفاً أميركياً:

لا تعمّموا... فالمتطرفون فينا لا يمثّلون موقفنا منكم ومن الإسلام

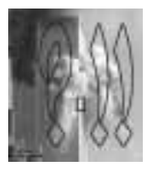

□ ديفيد بلانكنهورن هو مدير «معهد القيم الأميركية» وصاحب المبادرة التي أدت في شباط (فبراير) الماضي الى صدور رسالة الستين مثقفاً أميركياً، والتي أثارت ردود فعل عدة. وهذه الرسالة ربما كانت ذات مساهمة في فتح باب حوار حضاري بين الثقافتين الأميركية والعربية.

في هذه المقابلة يتحدث بلانكنهورن عن موقع الأخلاقية واعتداء ١١ أيلول (سبتمبر).

أجرى المقابلة: حسن منيمنة

● من البديهي ان الولايات المتحدة تغيرت نتيجة لأحداث ١١ أيلول. ما هي برأيك التغيرات الأهم؟

– التغير الأساسي برأيي هو الشعور بالخطر على مستوى المجتمع ككل. قبل ١١ أيلول، كان الشعور بالأمن والازدهار والرضا مستتباً في عموم المجتمع، فالانشغال كان في الدرجة الأولى بالشأن الداخلي والاهتمامات المحلية، ولم تكن مسائل سائر العالم تشغل حيزاً كبيراً من بالنا. التبدل الرئيسي منذ ١١ أيلول هو أننا كأميركيين معرضون للأذى بل للموت من مصدر خارجي، ما يفرض علينا الالتفات إليه والاهتمام به.

تبدّل بوش والسلطة

● بالاضافة الى هذا التغير ذي الطابع النفسي، هل ترى تغيرات رئيسية أخرى على مستوى العلاقة بين الحكم والشعب مثلاً؟

– لا شك أن الحكم تبدل بقدر كبير. والواقع أن التغير الذي لحق بشخص الرئيس جورج بوش وصورته كبير جداً، وقد لاحظه الجميع. فقد ابتدأ بوش عهده في أجواء الحديث السياسي عن صوابية الانتخابات، بل التشكيك بشخصه وقدراته، كما أن معظم الإعلام كان لا يزال مشغولاً بسلفه الرئيس بيل كلينتون وما جرى في عهده. لكن ذلك تبدل بين ليلة وضحاها، وأصبح واضحاً للجميع أن الرئيس بوش جعل من الرد على الاعتداء المهمة الأولى والغالبة لحكومته، فأصبح في واقع الأمر قائداً للبلاد في حالة حرب، وعلى هذا الأساس تم التغيير في أطر الحكم. أذكر اني كنت أتحدث مع بعض المسؤولين في البيت الأبيض في أواخر أيلول الماضي، حين أبلغوني أن الرئيس طلب منهم جعل الانتصار في هذه الحرب أولى أولوياتهم على الاطلاق، وما زال هذا الموقف سارياً. ولم يقتصر التغيير على الحكم ومهمته، فعلى المستوى الشعبي شهدت البلاد التفافاً متيناً حول الرئاسة والحكومة منذ وقوع الاعتداء. وما زال هذا التأييد قائماً، على رغم أن بعض الخلافات حول نهج السياسة الخارجية، لا سيما في الموضوع العراقي، بدأت تظهر، بالاضافة الى قدر من التجاذبات الحزبية. لكن الشعور بالوطنية ما زال طاغياً، ومعه الوحدة والتصميم على الرد على هذا التهديد الجديد، وذلك على المستوى الشعبي العام.

● ولكن أليس لهذه الوطنية وجه آخر، هو المزيد من التقبّل للعبارات النابية والمسيئة للإسلام، كما جاء مثلاً على لسان القس فرانكلين غراهام الذي وصف الإسلام بأنه دين شرير، وكذلك كثيرون غيره مثل جيري فالويل وبات روبرتسون، بالاضافة الى مجموعة من المعلقين المحافظين الذين وصلت تعليقاتهم الى حد المطالبة بغزو البلاد الاسلامية وقتل قادتها وتنصير سكانها، أو الى تشبيه القرآن الكريم بكتاب «كفاحي» لأدولف هتلر.

– هذه التعليقات المقيتة، برأيي، تستحق مطلق الادانة، وأنا شخصياً صدمت وشعرت بالغضب الشديد حين سمعت وصف القس غراهام للإسلام. وبعض هذه التعليقات صادر عن سفهاء لا يستحقون الرد، لا عن وجهاء في المجتمع. أما ما صدر عن الزعماء الدينيين، فهو بالفعل سيء ولا بد من التصدي له. وأنا لا أريد اطلاقاً الدفاع عنه، لكنني أريد ان أدعو قراء «الحياة» الى النظر الى الأمور بصورة كلية، إذ لا شك أن الصحافة العربية استفاضت في نقل هذه التعليقات البغيضة، كما يجب. فأريد أن أعرب للقراء العرب عن أنني شخصياً، ومعظم الأميركيين، نرفض هذه الآراء ونشعر بالحرج إزاءها. والواقع أن هذه الآراء تنحصر بقلة قليلة ولا تعبر أبداً عن الرأي السائد في مجتمعنا، بل يطيب لي أن أشير الى أن الانطباع الايجابي عن الدين الاسلامي في الولايات المتحدة تعاظم منذ اعتداء ١١ أيلول، على ما تكشف عنه استطلاعات الرأي العام. كما أن البلاد شهدت وتشهد لقاءات وصلوات تضم المسيحيين واليهود والمسلمين، والأميركيون من مختلف المذاهب يندفعون للاطلاع على الدين الاسلامي، ومبيعات الكتب في هذا الصدد بلغت حداً قياسياً. فثمة جانبان للموضوع إذاً. وفي حين أنه حدثت بالفعل اعتداءات على العرب والمسلمين في أعقاب الهجوم، فانها كانت قليلة ولم تستمر. والولايات المتحدة بلاد شاسعة، فما حدث كان ضئيلاً جداً نسبياً. وأنا قطعاً لا أحاول تبرير ما حدث من اعتداءات، بل انني أشعر بالعار إزاءه كما إزاء أقوال غراهام وفالويل وروبرتسون وغيرهم، لكن هذه الاعتداءات والأقوال لا تمثل أبداً حال المجتمع الأميركي ومواقفه. والسؤال الذي يجوز طرحه هنا لتقويم ردة فعل المجتمع الأميركي هو: ماذا لو قام متطرفون مسيحيون بتفجير مدينة في الشرق الأوسط، ماذا تكون ردة الفعل هنالك؟ اعتقد ان ردة الفعل الاميركية كانت ايجابية بشكل عام. على أي حال، معظم الأميركيين لا يعتبرون أن الصراع مع الاسلام أو العالم الاسلامي، فأرجو أن لا يلجأ قراء «الحياة» الى التعميم فيعتبرون ان هذه الآراء الهامشية هي الرأي الأميركي في الموضوع.

بين العراق ونيويورك

● في ما يتعلق بالرأي السائد في الولايات المتحدة، ثمة تعارض خطير بينه وبين الرأي السائد في الأوساط الثقافية العربية حول تقويم طبيعة ما جرى وخلفياته. اذ أن وجهة النظر العربية الغالبة تضع حوادث الحادث عشر من أيلول في سياق مواجهة مستمرة رغم قدر من الاختلاف حول تفاصيل هذه المواجهة، فيما تعتبر النظرة الاميركية انه اعتداء صريح خارج أي سياق. لا خلاف في أن عدد الضحايا الأبرياء في اعتداء ١١ أيلول هو ثلاثة آلاف، لكن عدد الضحايا الأبرياء في العراق مثلا ربما تجاوز المليون ممن سقطوا نتيجة سياسة فعلية أو تواطؤ ضمني، أو تجاهل لمصابهم على الأقل، من قبل الحكومة الاميركية التي سبق لها أن دعمت نظام الرئيس صدام حسين بشكل أو بآخر، ثم اختارت احتواءه دون اعتبار فاعل لتأثير ذلك على المواطنين العراقيين. فالسؤال الذي يطرحه العديد في العالم العربي هو: بما أن اعتداء ١١ أيلول جريمة تستحق الادانة أخلاقياً. لم لا يطبق المعيار نفسه على السياسة الاميركية تجاه العراق مثلاً؟

– لا شك أن بعض الجواب هو في أن الضحايا الثلاثة آلاف سقطوا هنا في الولايات المتحدة، فهم أصدقاؤنا وجيراننا وأقرباؤنا، أي أن الفاجعة ذات طابع شخصي وملموس، بالمقارنة مع ما يحدث في الخارج. ثم أن مقتلهم حصل في يوم واحد، مما أضاف الهول الى الجريمة.

● ما حصل في الولايات المتحدة اعتداء سافر وقع مبتذل يستهدف الحاق الأذى بالمدنيين. في المقابل، ما يحصل في العراق يهدف أساساً الى تطويق النظام واحتوائه، لكنه في نتيجته يساهم أيضاً في مقتل الآلاف من الأبرياء، وإن عَرَضياً. ثمة من يقول انه من حيث النتيجة، يبدو وكأن العراق يتعرض لـأيلول تلو آخر، انما دون الجانب الاستعراضي. فلم لا يطبق المعيار الأخلاقي نفسه؟

– لا، هذا غير مقبول، ولا تجوز المقارنة الأخلاقية بين الحالتين، فالمتسبب الأول بسقوط الضحايا العراقيين هو النظام الحاكم في بغداد لا الولايات المتحدة. فصدام حسين يقتل ويعتدي ويخرّب، ويفتك بأهل بلاده كما بأهل الجوار، دون رقيب أو محاسب، ونظامه لا يكترث البتة بحقوق الانسان، وهو خارج عن القانون الدولي. هذه هي مشكلة العراق. أما المعضلة التي تواجه سائر العالم فهي في كيفية التعامل مع هذا النظام. فالعقوبات قد لا تكون هي السياسة السليمة، وأنا شخصياً لا أوافق عليها، لكن المشكلة ليست في العقوبات بل في النظام القاتل في بغداد الذي لا يحترم أية قيمة أخلاقية. أما العقوبات فهي شأن ثانوي يجوز الاختلاف في شأنه، كما في شأن العقوبات المفروضة على كوبا مثلاً، حيث النظام ظالم ومقيت أيضاً. ولكن لا تجوز المقارنة أبداً بين سياسة عقوبات هادفة الى ضبط نظام مقيت وبين اعتداء يهدف الى قتل المدنيين الأبرياء. فالهدف من العقوبات هو تحقيق الصالح العام، وان جاءت النتيجة في بعض جوانبها مخالفة للقصد، أما الهدف من الاعتداء فهو اغتيال الأبرياء، أي انه شر صريح، والمقارنة بينهما تكشف عن سوء تقويم أخلاقي. لا بأس بمعارضة سياسة العقوبات، ولكن حتى من يعارض العقوبات في الولايات المتحدة لا يقبل بهذه المقارنة.

الحوار مع العرب والمسلمين

● كان محور الرسالة المفتوحة التي أعددتها والتي صدرت مذيلة بتوقيع ستين مثقفا أميركيا مسألة الحرب العادلة. والواقع ان هذه الرسالة أثارت ردود فعل عديدة في العالم العربي. ما هو تقويمك لردود الفعل هذه وتعليقك عليها؟

– لم أكن أدري ما عليّ توقعه. وكان هذا حال العديد من الموقعين. وبشكل عام، سررنا بأن الرسالة أثارت النقاش والردود. لكن الواقع ان معظم الردود التي اطّلعنا عليها كانت قاسية وسلبية، والغالب عليها كان الغضب والاتهام، وكأنها تقول بأننا كأميركيين مسؤولون عما حصل لنا. والواقع هو أن ثلاثة آلاف اميركي سقطوا ضحية لاعتداء غاشم في عقر دارهم، قامت به جماعة ترفع شعار الاسلام، وعلى رغم ذلك فردة الفعل من العالمين العربي والاسلامي هي بتوجيه اصبع الاتهام الينا وتحميلنا المسؤولية الكاملة. فأنا لا اعتقد أن هذه ردة فعل صائبة. وأنا ارجو ان نتمكن جميعا من اجراء حوار بهذا الشأن. كما ارجو أن نقوم نحن، في الجانب الغربي أو الأميركي، بالتمعن بدورنا في العالم، لا سيما وأن ثمة شعورا معاديا للولايات المتحدة منتشرا في مختلف الارجاء، وثمة اتهام بأن الدور الأميركي هو دور عسكري هجومي، فلا بد لنا من الاصغاء الى هذه الآراء والاستفادة منها. ونحن في المجموعة التي أعدت الرسالة المفتوحة نعمل في سبيل تحضير لقاء يجمعنا وجهاً لوجه مع نظرائنا من العرب والمسلمين للمباشرة بحوار. والشرط المسبق الوحيد لهذا اللقاء هو أن يكون جميع المشاركين على استعداد للنقد الذاتي وليس فقط نقد الآخر، على أمل الوصول الى نقاش يخرجنا من دائرة «صراع الحضارات» المفترض والذي أصبح شائعاً اليوم.

● قد يكون اللقاء التحاوري اذاً وسيلة لتجسير الهوة في مفهوم العدالة والحرب العادلة بين الجانبين.

– نعم، وقد لاحظت في الرد الذي وقعه عدد من المثقفين السعوديين على رسالتنا ان ثمة توافقا على المبادئ العامة فيما الخلاف يطرأ عند الحديث عن التفاصيل. والتحدي أمام المثقفين هو أولاً الإصغاء الى

الحوار مع العرب والمسلمين

● كان محور الرسالة المفتوحة التي أعددتها والتي صدرت مذيلة بتوقيع ستين مثقفا أميركيا مسألة الحرب العادلة. والواقع ان هذه الرسالة أثارت ردود فعل عديدة في العالم العربي. ما هو تقويمك لردود الفعل هذه وتعليقك عليها؟

– لم أكن أدري ما عليّ توقعه. وكان هذا حال العديد من الموقعين. وبشكل عام، سررنا بأن الرسالة أثارت النقاش والردود. لكن الواقع ان معظم الردود التي اطّلعنا عليها كانت قاسية وسلبية، والغالب عليها كان الغضب والاتهام، وكأنها تقول بأننا كأميركيين مسؤولون عما حصل لنا. والواقع هو أن ثلاثة آلاف اميركي سقطوا ضحية لاعتداء غاشم في عقر دارهم، قامت به جماعة ترفع شعار الاسلام، وعلى رغم ذلك فردة الفعل من العالمين العربي والاسلامي هي بتوجيه اصبع الاتهام الينا وتحميلنا المسؤولية الكاملة. فأنا لا اعتقد أن هذه ردة فعل صائبة. وأنا ارجو ان نتمكن جميعا من اجراء حوار بهذا الشأن. كما ارجو أن نقوم نحن، في الجانب الغربي أو الأميركي، بالتمعن بدورنا في العالم، لا سيما وأن ثمة شعورا معاديا للولايات المتحدة منتشرا في مختلف الارجاء، وثمة اتهام بأن الدور الأميركي هو دور عسكري هجومي، فلا بد لنا من الاصغاء الى هذه الآراء والاستفادة منها. ونحن في المجموعة التي أعدت الرسالة المفتوحة نعمل في سبيل تحضير لقاء يجمعنا وجهاً لوجه مع نظرائنا من العرب والمسلمين للمباشرة بحوار. والشرط المسبق الوحيد لهذا اللقاء هو أن يكون جميع المشاركين على استعداد للنقد الذاتي وليس فقط نقد الآخر، على أمل الوصول الى نقاش يخرجنا من دائرة «صراع الحضارات» المفترض والذي أصبح شائعاً اليوم.

● قد يكون اللقاء التحاوري اذاً وسيلة لتجسير الهوة في مفهوم العدالة والحرب العادلة بين الجانبين.

– نعم، وقد لاحظت في الرد الذي وقعه عدد من المثقفين السعوديين على رسالتنا ان ثمة توافقا على المبادئ العامة فيما الخلاف يطرأ عند الحديث عن التفاصيل. والتحدي أمام المثقفين هو أولاً الإصغاء الى

تفكك الإجماع

– هذا صحيح الى قدر ما على الأقل. النية مهمة، كما النتيجة مهمة. لكن الفارق بين الحالتين ليس في جانب النية وحسب. فالحكومة الاميركية ليست خارجة عن القانون كي تُستهدف، فيما الحكومة العراقية هي كذلك. وقد لا توافق على السياسة الاميركية لكن ذلك لا يبرر قتل الاميركيين. أما العقوبات المفروضة على العراق، وأنا شخصياً لا أحبذها، فهي فعلاً موضوع خلاف، لكن ذلك لا يجعل من تطبيقها مماثلاً أو مكافئاً للاجرام الذي تعرضت له الولايات المتحدة.

● ولكن ما مدى الاعتراض على الثمن الانساني للحرب المتوقعة على العراق؟

– الوضع يتبدل اليوم. فمن شبه الاجماع الذي حصل في أعقاب الاعتداء وخرجت عنه قلة قليلة من السلميين والهامشيين، نتجه اليوم الى تعددية في الآراء لا سيما في الموضوع العراقي. والخلاف اليوم بعضه حزبي وبعضه عقائدي في شأن ما يجب القيام به. وهذه حالة صحية تعكس الطبيعة الديموقراطية للمجتمع الاميركي. فشبه الاجماع كان الحالة الاستثنائية وهو لن يتكرر. ومعارضة الحرب أصبحت رأياً مقبولاً. وحتى ضمن حكومة الرئيس بوش ثمة أطراف تحمل آراء مختلفة. والواقع ان الدول ذات الأنظمة الديموقراطية أقل جنوحاً للمباشرة بالحروب نتيجة لهذه التعددية التي تلجم الميل الى الحروب.

● هل من قواعد للحوار الذي تعتزم الدعوة اليه بين المثقفين الاميركيين والعرب؟

– لا بد لنا من الاتفاق على أننا جميعاً متساوون في انسانيتنا، ولا بد بالتالي من احترام كرامة الجميع، والعمل على فهم الآخر، والاقرار بأن الحقيقة التي بين يدينا ليست الحقيقة المطلقة. وهذا لا يتعارض مع القناعة الدينية، بل يأتي اعترافاً منا بقصورنا كبشر، ويعكس رغبتنا في السعي الى بلوغ الحقيقة عبر مخاطبة الآخر. فمن السهل الاعلان عن موقف ما والدفاع عنه، ولكن لا بد لنا من محاولة فهم الآخر ومساءلة الذات. وفي التقليد الديني الذي أتبعه، أي المسيحية، لدينا اعتقاد بأننا جميعا ساقطون أي غير كاملين، فسعينا دوما هو الى تحسين الذات. وهذا ضروري لجميع المشاركين في اللقاء.

● ما هو تقويمك للعلاقة المرتقبة بين العالمين الغربي والاسلامي في المرحلة المقبلة؟

– أرى أننا أمام توجهين متعارضين، احدهما يضاعف التجاذب والمواجهة ومحوره بشكل خاص موضوعا فلسطين والعراق، لما يفجره من مشاعر متبادلة بالظلم تبلغ حد صراع الحضارات احياناً، في خطابيات الجهاد والحملات الصليبية بين العالمين الاسلامي والغربي. أما الآخر فهو في الشروع على درب التوافق والحوار وصولاً الى مفهوم مشترك لمجتمع عالمي قائم على العدالة، وهذا ضروري بالنسبة لنا كأميركيين حتى مع تعاظم قوتنا العسكرية، اذ اننا ندرك انه دون هذا التوافق لن نصل الى استتباب الأمن والرفاه. فالتحدي الأعظم لنا كمثقفين هو التوصل الى هذه الصيغة المشتركة، إذ هي الحل الحقيقي للمواجهات القائمة. ونحن اليوم جميعاً بأمس الحاجة الى لغة اخلاقية عالمية موحدة تأتي لتؤطر الحداثة والعولمة اللتين نعيشهما.